جمهورية مصر العربية	١٤ ربيع ثان ١٤٤٣هـ
وزارة الأوقاف	١٩ نوفمبر ٢٠٢١م

(١)

الأسرة سكن ومودة

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ.

وبعد:

فإن الأسرة أساس المجتمع، ونواة بنائه، وبتماسكها واستقرارها يكون تماسك المجتمع واستقراره؛ لذلك عني الإسلام ببناء الأسرة عناية كبيرة بما يحقق السكن والمودة والرحمة بين جميع أفرادها، حيث يقول تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}.

والمتأمل في الآية الكريمة يجد أن الله (عز وجل) بيَّن أن بناء الأسرة من آياته العظيمة، فجعل سبحانه الزواج سكنًا، وذلك لأن الرجل يسكن فيه إلى زوجه، والمرأة تسكن فيه إلى زوجها، فقد جعل الحق سبحانه وتعالى المودة والرحمة من أسس بناء الأسرة، فالمودة: صفة تبعث على حسن المعاملة، فيحتمل كل من الزوجين ما قد يَنِدُّ من الآخر، أو تختلف فيه بعض الطبائع، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (لا يَفْرَكْ مؤمنٌ مؤمنةً؛ إنْ كَرِهَ منها خُلُقًا، رَضِيَ مِنهَا آخَرَ)، وبذلك تكون الأسرة قائمة على معاني حسن الخلق، وجميل العشرة، والرأفة، وفي ظلال هذه الأسرة المستقرة المتماسكة تنمو الخلال الطيبة، وتنشأ الخصال الكريمة والذرية الصالحة، فتنتشر السعادة في جنبات البيت.

ولتحقيق السكن والمودة في الأسرة ينبغي التحلي بأمور، منها: المعاملة الطيبة، والمعاشرة بالمعروف، حيث يقول تعالى: {وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ}، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا)، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (خَيْرُ نِسَائِكُمْ مَنْ إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا زَوْجُهَا سَرَّتْه، وَإِذَا أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ، وَإِذَا غَابَ عَنْهَا حَفِظَتْهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهِ).

ومنها: إنفاق الزوج على أسرته، بتوفير المأكل والمشرب والملبس، حيث يقول تعالى: {وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ}، ويقول سبحانه: {لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ}، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (أَفْضَلُ الصَّدقةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنًى، واليَدُ العُليا خيرٌ من اليَدِ السُّفلَى، وَابْدَأْ مَنَ تعولُ)، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَعُولُ).

ومنها: حفظ الأسرار بين الزوجين، فكلا الزوجين ستر وسكن للآخر، وإفشاء الأسرار لا يرضاه دين، ولا خلق قويم، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ من أَشَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وتُفْضِي إِلَيْهِ، ثم يَنْشُرُ سِرَّهَا).

ومنها: المشاركة في تربية الأبناء، وتنشئتهم تنشئة سوية، فلا يقتصر دور الزوجين على رعاية الأبناء بتقديم الطعام والشراب والأمور المادية فقط، بل تعظم هذه الرعاية ببناء القيم والأخلاق في نفوسهم؛ مما يؤهلهم للقيام بدورهم في رفعة المجتمع وتقدمه، ويكونون بذلك قرة أعين لآبائهم وأمهاتهم في الدنيا والآخرة، حيث يقول سبحانه: {وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا}، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (إِذَا مَاتَ ابنُ آدم انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ)، وكما تُعنى الأسرة بالأبناء يجب أن تعنى بحقوق الآباء، حيث يقول الحق سبحانه: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا}، فيتحقق الأمن والسكينة، والسعادة لكل أفراد الأسرة.

ومنها: المشاورة بين أفراد الأسرة في أمور الحياة؛ وذلك مما يُشعر كل فرد من أفراد الأسرة بدوره وأهميته، وقد شاور نبينا (صلى الله عليه وسلم) زوجَه السيدةَ أم سلمة (رضي الله عنها) في صلح الحديبية، ووافقها ورضي رأيها، وكان الخير في مشورتها (رضي الله عنها).

****

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

لا شك أن لأهل الزوجين دورًا كبيرًا في الحفاظ على كيان الأسرة، واستقرارها، وذلك من خلال دعم أواصر الحب والاحترام والسكن والمودة بينهما، واحترام خصوصياتهما، واحتواء الخلافات بإبداء النصح والإرشاد لهما، حيث يقول تعالى: {وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا}، ويقول (عز وجل): {وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا}، فما بالكم بآبائنا وبناتنا، وذوي القربى منا.

فما أحوجنا إلى أن نحقق السكن والمودة في بيوتنا، حتى يسود الحب والتآلف والاستقرار في المجتمع كله.

ربنا هب لنا من أزواجنا وذريتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إمامًا